تقتضي استخدام اللفظة الموصوفة بالتوحش ، حيث لا يكون للشاعر مخرج عنها كأن تكون اسمًا لمكان لا بد من ذكره ؛ لكمال الإفادة ، كقول البحتري :

وأنا الشُّجاعُ وَقَدْ رَأَيْتَ مَواقِفي بِعَقَرْقَسَ وَالمَشْرَفِيَّةُ شُهَّدي

فالشاعر له عُذْر واضح في ذكر (عقرقس) ؛ لأنه الموضع الذي شهد الممدوح به قتاله ، وليس يحسن أن يذكر موضعًا غيره .

كما أن لعنترة عذره أيضًا في استعمال كلمة (الدحرضين) اسمًا لمائين شربت منهما ناقته في قوله :

وَشَرِبَتْ بِماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْراءَ تَنْفِرُ عَنْ حِياضِ الدَّيْلَمِ [1]

وإذا كان الجاحظ قد ربط مفهوم الوحشية بالطبيعة البدوية الأعرابية — فإن ابن الأثير آثر أن يربط هذا المفهوم بالتطور الزمني ، فهناك ألفاظ استعملها الأوائل دون الأواخر ، وهذا لا يعاب استعماله عند العرب ؛ لأنه لم يكن عندهم وحشيا ، وهو في زمن ابن الأثير يعد وحشيا لعدم استعماله .

فالوحشي من الألفاظ ، هو الغريب الذي يقل استعماله في زمن معين ، ومن (الوحشي الغليظ) ما ورد لتأبط شرًّا في كتاب الحماسة :

يَظَلُّ بِموْماةٍ وَيُمْسي بِغَيْرِها جَحيشًا وَيَعْرَوْرَى ظُهورَ المهالِكِ

ومما هو أقبح منه ما ورد لأبي تمام :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا اطْلَخَمَّ الأَمْرُ وَانْبَعَثَتْ عَشْواءَ تالِيَةً غُبْسًا دَهاريسا

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ، ص ٥٩ ، ٦٠ .